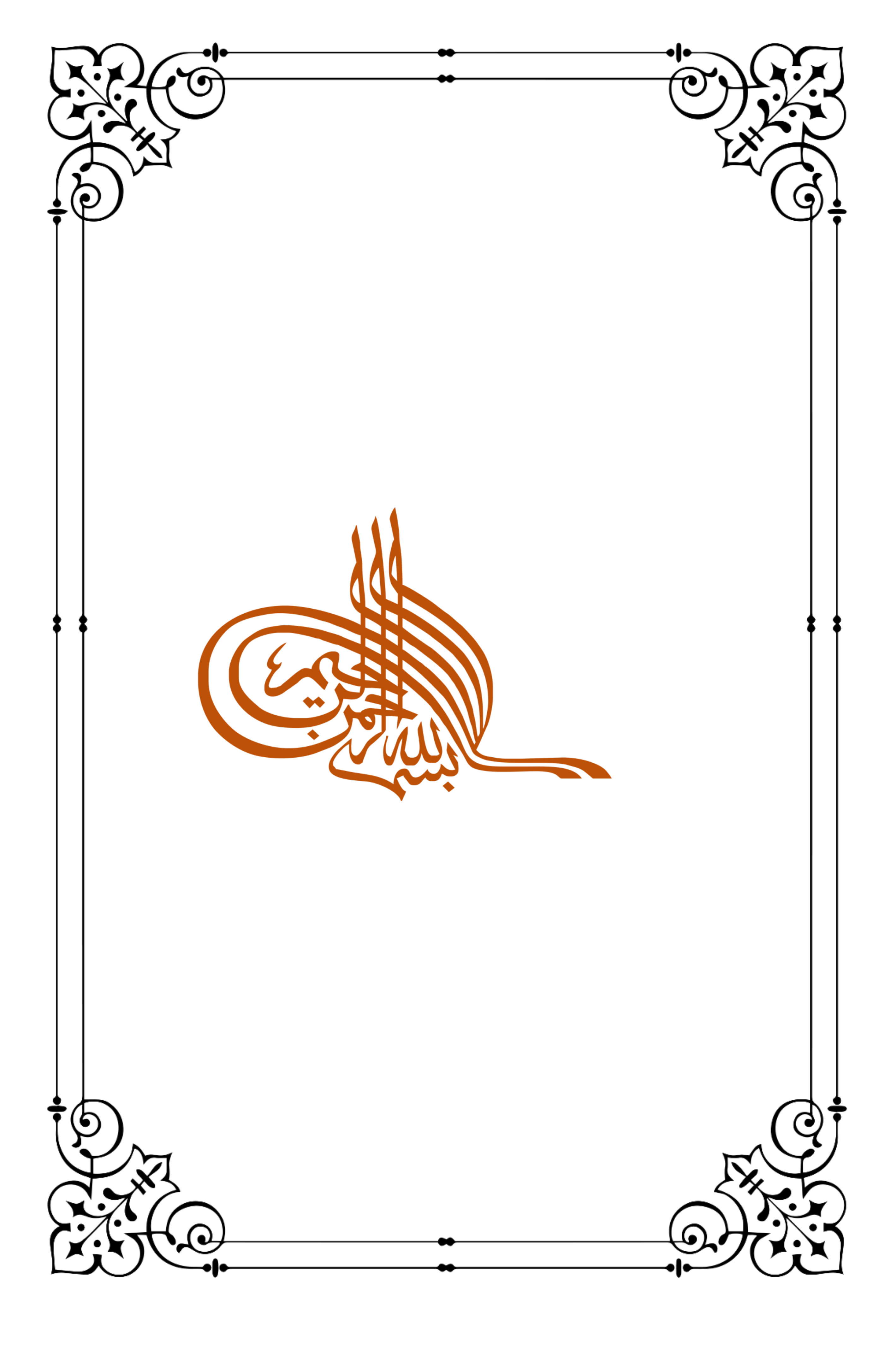


إعداد:

هيفاء بنت عبد الله الرشيد




بسم الله الرحمن الرحيم





المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن عقد الزواج من العقود المهمة في الإسلام، ولأهميته فإن الله ﷻ وصف عقد الزواج بأنه الميثاق الغليظ, قال تعالى: ﴿ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء:٢١]، سماه الرب بالميثاق الغليظ للتأكيد الشديد عليه، ولأهمية الحفاظ عليه والوفاء به.

فرابطة الزواج آية من آياته العظيمة، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:٢١]، جعل الله في هذه الرابطة السكن والراحة، والمودة والرحمة، جعل فيها السعادة والاستقرار.

فالعلاقة الزوجية إذا بنيت على أساس سليم مستمد من الكتاب والسنة، أساس قائمٍ على الإيمان والتقوى، والمحبة والرحمة والمودة، فستثمر مقاصد يحتاجها كلا الزوجين، وسيكونون سويا أسرة صالحة سليمة، تكون نواة لمجتمع سليم.

وكذلك إذا كان الزوجان على دين وخلُق، وقام كل منهما بدوره؛ عمت السكينة على البيت، وعمَّت الطمأنينة أركانه، ولابد من تكاتف الزوجين لإنجاح هذه العلاقة، فالحياة الزوجية تحتاج إلى صبر كل واحد منهما على الآخر، وتحتاج إلى تضحية، وتحتاج للبذل والعطاء حتى تستمر هذه العلاقة سعيدة، دافئة، مستقرة ينعم بها كلا الزوجين.

في هذا البحث نستعرض جملةً من القواعد النبوية في الحياة الزوجية، ولا شك أن النبي ﷺ ما من خيرٍ إلا دلَّ الأمة عليه، وما من شرٍ إلا حذَّرها عنه، قال عليه ﷺ: «**مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ لاَ أَدَّخِرُهُ عَنْكُمْ**»[١].

فَالخير كله في اتباع الوصايا أو القواعد النبوية التي دل عليها الرسول ﷺ أمته، فإن القواعد التي تركها الرسول لأمته تكتب بماء الذهب، وعدم العمل بها انهيار للأسر والمجتمع.

(١) متفق عليه.

القاعدة الأولى: ﴿خير النكاح أيسَرُه﴾

إن أول ما نقف عليه من تلك القواعد: عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسـول الله ﷺ: «خَيْرُ النّكَاحِ أَيسَرُه»[(١)].

ولنقف وقفة محاسبة ومراجعة مع أنفسنا مع هذا الحديث، فقد أحدث الناس اليوم أموراً تخالف ما قال الرسول ﷺ، وذلك من بداية مراسم خطبة النكاح، وانتهاء بالدخول وانتقال المرأة إلى بيت الزوجية، فقد كلّفوا على أنفسهم أمورا كثيرة، عادت بالثقل والوبال على الزوج وأهل الزوج، أو الزوجة وأهل الزوجة، وربما أثّر ذلك سلبا على الحياة الزوجية بعد ذلك، وقد تؤدي إلى العزوف عن الزواج بسبب تلك التكاليف والأغلال التي كلفوها على أنفسهم.

يطمح الكثير من الشباب لتكوين أُسرة جديدة، ولاستكمال دينهم، وليعفوا أنفسهم، فيجدوا أمامهم عقبات وأسوار تحول بينهم وبين ما يطمحون له، فيجدون أنفسهم مقيدين بالأغلال التي تصيبهم بالإحباط والهموم والغموم.

يقول الرسول ﷺ: «خَيْرُ النّكَاحِ أَيْسَرُهُ»، -أَيْسرهَ- ويكون ذلك في المهر، في حفل الزواج، في مستلزمات الزواج، في حفل الزواج، وغيره.

نبتدأ بخطوة خطوة ونقارن حال الناس اليوم بما جاء في الشرع، نبتدأ بالنظرة الشرعية، ما هي التي نصت عليها السنة النبوية، ونقارن ما حدث فيها من الاخلال أو المبالغات فيها.

سئل سماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز عن رؤية المخطوبة، فأجاب رحمه الله: **"لا شك أن عدم رؤية الزوج للمرأة قبل النكاح قد يكون من أسباب الطلاق، إذا وجدها خلاف ما وصفت له، ولهذا شرع الله سبحانه للزوج أن يرى المرأة قبل الزواج حيث أمكن ذلك، فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمُ الْمَرْأَةَ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ مِنْهَا إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ، فإن ذلك أحرى إلى أن يؤدم بينهما»، فإذا كشفت له وجهها ويديها ورأسها فلا بأس على الصحيح، وقال بعض أهل العلم: يكفي الوجه والكفان، ولكن الصحيح أنه لا**

(١) رواه أبو داود في سننه برقم (٢١١٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

بأس أن يرى منها رأسـها ووجهها وكفيها وقدميها...ولا يجوز ذلك مع الخلوة بها، بل لابد أن يكون معهما أبوها أو أخوها أو غيرهما، لأن النبي ﷺ قال: «لَا يَخْلُوَنَّ رجل بامْرَأَة إِلَّا ومعها ذُو مَحْرَم»، وقال أيضاً ﷺ: «لَا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بامْرَأَة فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالثُهمَا»"(١).

أما ما يحدث الآن من المبالغة في اللباس وربما تلبس المرأة أمام المتقدم لها البنطال الضيق، وتضع المساحيق على وجهها لتخفي عيوبها، وكذلك تخلو مع الخاطب لوقت طويل، وربما تستمر اللقاءات للتعارف والخلوة في المطاعم لزيادة الاطمئنان أنه الشخص المناسب كما يزعمون، وقد يذهبون سوياً إلى الأسواق ودخول السكن الذي سيعيشون فيه ويفرشونه سوياً، يختارون سوياً غرفة النوم التي تناسبهما ويأتون إلى الشقة معاً، والله المستعان.

بعض المخطوبين يتواصلون فيما بينهم عن طريق الهاتف، لا أقول ساعة أو ساعتين، بل ساعات يتحدثون ويتسامرون الليل والنهار، وقد يستمرون على هذه الحالة أيام وشهور، ويخرجون بمفردهم إلى المقاهي والمنتزهات، ويقولون نتعرف على بعض الآن أفضل قبل الزواج لنرى هل نحن متناسبين أم لا!

وأين الله؟ وماهي الضوابط التي شرعها الله لكما؟ هل ما تقومان به جائز عند الله؟ وهل مخالفة شرع الله بالأمر الهين؟ ألا يعلمون أن المعاصي نذير شؤم؟ وكيف يبدؤون هذه الرابطة السامية أو هذا الميثاق الغليظ بأمور تغضب الرب! اتقوا الله واصبروا حتى يعقد بينكما، وتحدثوا بعدها طوال الليل والنهار، أما أن يتحدث الرجل إلى امرأة أجنبية منه بالساعات، ويخلوا بها فهذا لا يجوز.

ومن تلك المعوقات التي يتفاجأ بها الشاب؛ شروط الزواج: بعض الآباء أو الأولياء يشترطون على الزوج أموراً فوق طاقته، مثلاً تشتري لها كذا وكذا من الذهب، أو تكتب شقة أو بيت باسمها، أو سكن مستقل بمواصفات معينة، أو سيارة،أو مؤخر صداق بالقيمة الفلانية حتى يضمن مستقبل ابنته، أو قد يشترط مهر عالي! شروط تعجيزية يقيد بها الشاب المسكين، فإما أن يعزف عن الزواج، وربما يقبلَها على مضض! ومن ثم يعاني هو المسكين من تبعات هذه الشروط ترهقه لسنوات بعد الزواج سواء بدنياً ونفسياً.

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٢٦) ص١٣٦-١٣٧.

ومن تلك المعوقات التي يتفاجأ بها الشاب؛ **المهر**: المهر في الإسلام حق من حقوق الزوجة، تأخذه كاملاً حلالاً، والأدلّة على وجوب إيتاء المرأة مهرها كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤].

والمهر حق للمرأة لا يجوز لأبيها ولا لغيره أن يأخذه إلا إذا طابت نفسها بذلك، عن أبي صالح قَالَ: **"كَانَ الرَّجل إذَا زوَّج ابنته أَخذَ صداقها دونَها، فنهاهم اللهُ عن ذلك، ونزلَ: ﴿وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾"**(١).

وللزوجة الحق في التنازل عنه كاملاً أو عن جزء منه للزوج أو لأبيها من غير إكراه، كما قال تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [النساء: ٤]. لكن الشرع جاء بتخفيف المهر لما فيه من مصلحة للزوج والمرأة كذلك، كما قال النبي ﷺ: **«خَيرُ النِّكَاحِ أَيسرُهُ»**.

إن من المؤسف أن من الأشياء التي تمادى الناس فيها حتى وصلوا إلى حد الإسراف والتباهي بها **"مسألة المغالاة في المهور"**، فالحقيقة أن فيها من المفاسد الشيء العظيم، بل أصبح هناك عزوف عن الزواج بسبب المبالغة في المهر، فكم من امرأة بقيت عانس بسبب مطالبة والديهما بمهر مبالغ فيه، فكانا السبب في حرمانها من الزواج ومن تحقيق غريزة الأمومة، حرماها بسبب المغالاة في المهر من الذرية بسبب المال! كما أن تكليف الزوج فوق طاقته يجلب البغض في قلبه لزوجته لما يحدث له من ضيق مالي والمعاناة بسببها، فالهدف من الزواج هو تحقيق السعادة وليس الشقاء.

قال ابن قدامة رحمه الله: **"ويستحبُّ أَنْ لَا يغلي الصَّدَاقَ؛ لما روي عن عائشةَ، عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قَالَ: «أَعْظَم النِّساء بركَةً، أَيسرهنَّ مؤنَةً»"**(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: **"السُّنَّةُ: تخفيفُ الصَّدَاق، وأَلَّا يزيد عَلَى نساء النَّبيِّ ﷺ وبناته، فَقَدْ روت عائشةُ رضي الله عنها عن النَّبِي ﷺ أَنَّه قَالَ: «إنَّ أَعْظَمَ النِّسَاء بركَةً أَيسرهنَّ**

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٢١٣).

(٢) المغني (٧/٢١٢).

مئونة»"(١).

قال القاري رحمه الله: **"(أَيسره) أَي: أَقلُّه أَو أَسهلُه (مؤْنَةٌ) أَي: من الْمهْر والنَّفقة؛ للدَّلالَة علَى الْقناعة الَّتِي هي كَنْز لَا ينفد ولَا يفْنى"(٢).**

فديننا يبين لنا تصريحا أن أفضلية النكاح تكون مع قلة المهر، وأنَّ الزواج بمهر قليل مندوب إليه، فإنَّ خير الصداق أيسره وأسهله وأقلّه مؤنة على الزوج.

ومن تلك المعوقات التي يتفاجأ بها الشاب؛ **حفل الزفاف**: حفل الزفاف أرهق كاهل العديد من الأسر، نعم يشرع إظهار الفرح والسرور لكن لا يشرع الاسراف، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٧٧].

"إن المغالاة في المهور، وفي الحفلات: كل ذلك مخالف للشرع؛ فإن أعظم النكاح بركة أيسره مؤونة، وكلما قلت المؤونة عظمت البركة، وهذا أمر يرجع في أكثر الأحيان إلى النساء، لأن النساء هن اللاتي يحملن أزواجهن على المغالاة في الحفلات مما نهى عنه الشرع، وهو يدخل تحت قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، وكثير من النساء يحملن أزواجهن على ذلك أيضاً، ويقلن إن حفل فلان حدث به كذا وكذا، ولكن الواجب في مثل هذا الأمر أن يكون الوجه المشروع، ولا يتعدى فيه الإنسان حده، ولا يسرف، لأن الله سبحانه وتعالى نهى عن الإسراف، وقال: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾"(٣).

وقد بحثت هيئة كبار العلماء، في المملكة العربية السعودية هذه المسائل المتعلقة بـ: **"تمادي الناس في المغالاة في المهور والتسابق في إظهار البذخ والإسراف في حفلات الزواج وبتجاوز الحد في الولائم وما يصحبها من إضاءات عظيمة خارجة عن حد الاعتدال ولهو وغناء بالآت طرب محرمة بأصوات عالية قد تستمر طوال الليل حتى تعلو في بعض الأحيان على أصوات المؤذنين**

(١) مجموع الفتاوى (٣٢/١٩٢).

(٢) مرقاة المفاتيح (٥/٢٠٤٩).

(٣) فتاوى إسلامية (٣/١٧٦).

في صلاة الصبح وما يسبق ذلك من ولائم الخطوبة وولائم عقد القران كما استعرض بعض ما ورد في الحث على تخفيف المهور والاعتدال في النفقات والبعد عن الإسراف والتبذير.."(١).

الآن الديكورات فقط التي توضع ليوم الزفاف يدفع لها مبالغ باهظة وليتها تبقى لهم، أو يستفاد منها!، فنجد التنافس على أغرب الزهور وأغلاها، والتقديمات التي توضع في الحفل فيما يعرف بالمعجنات وغرائب الحلويات، وتعيين المشرفات والمنظمات للحفل، والمطربات والشاشات! ناهيك كُلفة العشاء وما فيها من الذبائح التي توضع للتزيين، أطباق متنوعة كثيرة فوق حاجة الناس، إلى غير ذلك من التكاليف والآصار التي كلفوها على أنفسهم وأرهقوا أنفسهم بأيديهم.

وفي بعض البيئات -التي وسع الله على أهلها- تتضاعف الأرقام بشكل مرعب ومُخيف، ينفق فيها الآلاف المؤلفة، وقد تصل إلى الملايين حتى يشتهر حفلهم بين الناس!، ما هي إلا مظاهر كذابة، لأجل أن يكون حفلهم أفضل من حفل فلانة وعلانة من الناس، هناك رجل دخل ابنه المدرسة وهو لا يزال يسدّد قيمة مهر زواجه الذي بلغ ما يُقارب ربع مليون ريال! وأي حياة سيهنئ بها الزوج وهو يتعامل مع امرأة شعر بصورة أو بأخرى أنها بيعت له، وأنها مصدر وبال عليه؟!

ولا يفهم أننا نرفض الاحتفال، لكن أن ترتفع التكاليف إلى هذا المستوى! هذا غير مقبول! وبل غير معقول!، وقد يدخل في الإسراف الذي نهانا الله عنه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، والاحتفال ينبغي أن يكون بحسب العرف الذي لا تمنعه الشريعة، من غير مبالغة أو إسراف أو مخيلة أو رغبة في التفرد لكسب الشهرة.

أليس نريد أن يوفق الله الزوجين؟ أن يكون النكاح موفّقًا وسعيدًا يحفّه الخير؟ إذن لابد من اتباع قول البشارة الذي أخبر بها النبي ﷺ: «**خَيْرُ النِّكَاحِ أَيْسَرُهُ**»، فلماذا نأتي نحن ونضع أمثالَ هذه التكاليف التي لا تسمن ولا تغني جوع، وتسيء أكثر مما تسعد؟!. إن علاقة الزواج أقدس وأشرف من أن تُكلّل أو تُحاط بمثل هذه التكاليف الباهظة، إن نبينا ﷺ أعطانا بشارة عظيمة في هذه القاعدة النبوية الجليلة: «**خَيْرُ النِّكَاحِ أَيْسَرُهُ**».

(١) أبحاث هيئة كبار العلماء (٢/٤٨٩).

من المعوقات التي تواجه الشباب بسبب الشروط والمطالبات: يطالب بعض الوالدين الخاطب بمنزل ملك، أو ربما قصر لها، أو سيارة مع سائق قبل دخولها بيت الزوجية!

قال ابن حزم رحمه الله: "**وَيَلْزَمُهُ إِسْكَانُهَا عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ، لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:** ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾"(١).

ومن المعوقات كذلك: مطالبة الزوج بوجود خادمة –أو أكثر– لخدمة الزوجة.

فاطمة بنت النبي ﷺ، ابنة من؟ أشرف الناس وسيد الناس ومع ذلك "**فاطمة كانت تعمل في بيتها، وتقوم بحاجات البيت؛ حتى مجلت يداها من الطحن، وتعبت من ذلك، فجاءت إلى النبي ﷺ وجاءه سبي من بعض السبي، فجاءت تسأله خادما، يعني جارية تعينها على شغل البيت، فقال: والله لا أعطيك جارية وأدع أهل الصفة تطوي بطونهم، فردها، واعتذر إليها، ولكن أدلك على ما هو خير من خادم، قال لها النبي ﷺ: أدلك على ما هو أفضل من خادم: تسبحين الله عند النوم ثلاثاً وثلاثين، وتحمدين الله عند النوم ثلاثاً وثلاثين، وتكبرينه عند النوم أربعاً وثلاثين، فهذا خير لك من خادم، فقالت فاطمة: فعملت بهذا فما وجدت تعبا بعد ذلك رضي الله عنها، وهي بنت النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا الحديث صحيح في الصحيحين عن النبي عليه الصلاة والسلام، من أصح الأحاديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، هذا دل على أنه ينبغي للمؤمن أن يكون له عمل، وأن يحذر الكسل، ويبتعد عن الكسل، فالكسل لا خير فيه**"(٢).

أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، تحمل نسباً شريفاً عالياً، فوالدها هو صاحب رسول الله ﷺ، وثاني اثنين في الغار، وخليفة رسول الله ﷺ، تزوَّجت أسماء بنت أبي بكر من الصَّحابِي الجليل الزُّبير بن العوَّام، وكان فقيراً حينها، ولم يملك سوى فرس، كانت أسماء تخدمه وتعلفه وتطعمه، وكانت أسماء امرأةً جلدةً صبورةً تخدم نفسها وأهل بيتها؛ تعجن، وتطبخ، وتنقل النَّوى من الأرض التي يعمل بها

---

(١) المحلى بالآثار (٩/٢٥٣).

(٢) موقع الشيخ ابن باز رحمه الله، https://cutt.us/eWhwK

زوجها الزبير رضي الله عنه على رأسها، ثمَّ تدقُّ النَّوى لفرس زوجها، قالت رضي الله عنها: **تزوَّجني الزُّبْيرُ وما له في الأرْضِ من مال ولا مَمْلُوك، ولا شيء؛ غير ناضح وغيْرِ فرسه، فكُنْتُ أعلِفُ فرسَهُ، وأسْتقي الماء، وأخرزُ غربه، وأعْجنُ، ولَمْ أكُنْ أُحسنُ أخبزُ، وكان يَخْبزُ جاراتٌ لي من الأنْصار، وكُنَّ نسْوةَ صدْق، وكُنْتُ أنقُل النَّوى من أرض الزُّبير الَّتي أقْطَعَه رسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم على رأْسي، وهي منّي على ثُلُثي فرسخ، فجئتُ يوما والنَّوى علَى رأْسي، فلَقيتُ رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم ومعه نفرٌ من الأنصار، فدَعاني، ثُمَّ قالَ: إخ إخ؛ ليحملَني خلْفَه، فاستحْييتُ أنْ أسير مع الرِّجال، وذكَرْتُ الزُّبير وغيرَته، وكان أغْيرَ النَّاس، فعرفَ رسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم أنِّي قَد استحْييتُ، فمضى، فجئتُ الزُّبير فقُلْت: لَقيني رسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم وعلَى رأْسي النَّوى، ومعه نفرٌ من أصحابه، فأناخ لأرْكب، فاستحْييت منه وعرفْتُ غيْرتَك، فقالَ: واللَّه لحَمْلُك النَّوى كان أشَدَّ علَيَّ من رُكُوبك معه، قالَتْ: حتَّى أرسلَ إليَّ أبو بكْر بعدَ ذلك بخادم تكْفيني سياسةَ الفرَسِ، فكأنَّما أعتقَني**[(١)].

(وأخرز غربه): والخرز هو خياطة بعض الجلود لصنع الغرب، وهو الدَّلو والإناء الكَبير[(٢)].

ثم أخبرت أنَّها كانت تنقل نوى التَّمر على رأسها، وكان ذلك من أرض الزُّبير الَّتي أعطاها له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وكانت تبعد عن مكان سكنها ٤ كيلومترات تقريبا؛ لأنَّ الفرسخ ٦ كيلومترات تقريبا[(٣)].

نسأل الله أن يصلح زوجات المسلمين، وأن يهديهن سواء السبيل.

أما شهر العسل: تكاليف على ظهر الزوج، تكاليف أرهقته إلى أن وصل مرحلة شهر العسل! ثم تأتي تكاليف شهر العسل، لابد أن يذهب بها ثلاثون يوماً حتى لا تغار من بنات جنسها، وحتى لا يكون بخاطرها شيء، وقد يضطر أن يستدين حتى يذهب بها الزوج، وقد يذهب الزوج بزوجته إلى بلاد الكفر والفسق لقضاء شهر عسل على ساحل البلد الفلاني أمام العراة والعياذ بالله، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: **«أَنَا بريءٌ من كُلِّ مسلمٍ يُقيم بيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِين»**[(٤)].

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٢٢٤)، ومسلم في صحيحه برقم (٢١٨٢).

(٢) شرح مسلم للنووي (١٤/١٦٥)، فتح الباري لابن حجر (١/١١١).

(٣) المرجع السابق.

(٤) رواه أبو داود في سننه برقم (٢٦٤٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

وماذا عن الحكم في قضاء إجازة في بلاد الكفر؟

قال ابن باز رحمه الله: "**أما السفر للسياحة في البلدان الخبيثة بين الكفار وبين أرباب الخمور والزنا والفسق فهذا خطر عظيم، وكم من مسافرٍ رجع بغير دينٍ ولا حول ولا قوة إلا بالله، أو رجع بأقل من دينه! فالواجب الحذر، وألا يسافر إلى بلاد الكفر وإلى بلاد الحرية والشر، بل يحمد الله الذي عافاه من ذلك، ويصون نفسه ودينه، فليعمل في بلده، أو يُسافر إلى بلد ليس فيها شرٌّ: كمكة والمدينة؛ للعبادة والتَّقرب، أو إلى بلد أخرى ليس فيها شرٌّ، المقصود أنَّ البلاد التي فيها شرٌّ وظهور الكفر والفساد يجب الحذر من ذلك، حتى لا يقع في الباطل، اللهم إلا من كان عنده علم وسعي في الخير بحيث يذهب إلى الدَّعوة إلى الله بعلمه وفضله وما أعطاه الله من العلم، وهو لا يخشى على نفسه من الفتنة؛ فلا بأس إذا كان صالحا للدَّعوة، فيدعو إلى الله، ويوجه الناس إلى الخير، ويبتعد عن الشر، ولا حرج في ذلك من باب الدَّعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وإذا كان يخشى على نفسه من ذلك -من ظهور الشر وقلّة الخير- فليحذر، ولا يُخاطر بنفسه، ولا بدينه، والله المُستعان، هذا في الشباب، أما في النّساء فلا، فالخطر أعظم، فسفر النساء خطره أكبر وأشر، فإذا وجب في حقِ الرجال التَّحرز والحذر، ففي حقِ النساء أشد وأخطر، ولا حول ولا قوة إلا بالله**"(١).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "**أما ما يقال عن شهر العسل: فهو أخبث وأبغض؛ لأنه تقليد لغير المسلمين، وفيه إضاعة أموال كثيرة، وفيه أيضاً تضييع لكثير من أمور الدين، خصوصاً إذا كان يقضى في بلاد غير إسلامية، فإنهم يرجعون بعادات وتقاليد ضارة لهم ولمجتمعهم، وهذه أمور يخشى منها على الأمة، أما لو سافر الإنسان بزوجته للعمرة أو لزيارة المدينة فهذا لا بأس به إن شاء الله**"(٢).

مثل هذا قابل نعمة الله -نعمة الزواج- بالكفران، أفلا يكون العبد عبدَا شكورا، أيقابل مثل هذا الزوج توفيق الله بزوجة تعفه وتكون عوناً له وسبب في اسعاده فيذهب بها إلى بلاد المغضوب

---

(١) موقع الشيخ رحمه الله، https://cutt.us/eAXAn

(٢) فتاوى إسلامية (٣/١٧٦).

عليهم والضَّالّين، يرى ويسمع المنكر ويجالسهم، ويسمع آيات الله يكْفَر بها ويستهزأ بها ولا يحرك لها ساكن!، يذهب بزوجته إلى بلاد يعبد فيها غير الله، ويكْفَر فيها علنَا بالرحمن، وتَضرب فيها النواقيس!، وتنتشر فيها الرَّذيلة بشتى صورها! عجيب ابن آدم يقابل الإحسان بالنكران، يبارز الرحمن الذي منَّ عليه بالليل والنهار بالنكران!، والرب يقول في كتابه: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن:٦٠].

مستلزمات الحياة بعد الزواج أو متطلبات الزوجة بعد الزواج من الأمور التي يجب التنبيه عليها،(**خير النكاح أيسره**)، بعض الزوجات ترهق زوجها **مادياً وجسدياً** بكثرة الطلبات، اللزوجة اليوم لا تشبع، تريد وتريد، ولو كان ذلك فوق طاقته، فيشعر الزوج بالإحباط الدائم عندما لا يستطيع تحقيق طلبات زوجته، وبالتالي ينفر منها.

الزوجة في عهد سلفنا الصَّالح كانت نعم العون لزوجها، كانت توصيه عندما يريد أن يخرج في الصباح إلى عمله، فتقول له: **"يا أبا فلان اتقِ الله ولا تأكل حراما، فإنا نصبر على جوعِ الدنيا ولا نصبر على عذاب الله يوم القيامة"**، بينما نساء اليوم تريد نقود وثياب كثيرة، تريد ذهب وألماس، ترهق زوجها بكثرة الطلبات والمشتريات لأجل أن يكونَ مظهرها أحسن من فلانة، وسمعنا من تجبر زوجها على الاستدانة من الآخرين من أجل أن يسافر بها إلى بلد ما مثل صديقتها، أو تطلب منه شراء مستلزمات لها تفوق قدرته المادية، فتحمله ما لا طاقة له لكي يلبي حاجاتها، فمثل هذا النوع من النساء وبال على زوجها ومصدر تعاسة له.

رابطة الزواج الغرض منها السكن، الاستقرار، الزواج رباط قوي بين الرجل والمرأة يتعاونون من خلاله على تخطي مصاعب الحياة لا أن تصعب الحياة بها، إذ يعد كل من الزوجين سكن للآخر لقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف:١٨٩].

جعل الله العلاقة بين الزوجين من أوثق العلاقات التي عرفتها البشرية، فربما لا يوجد علاقة بين اثنين مثلما يوجد بين الزوجين، وقد ربط الله تعالى هذه العلاقة بالمودة والرحمة؛ قال تعالى: ﴿وَمِنْ

آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، فلا ينبغي لهما كلاهما أن يضر أحدهما بالآخر بكثرة الطلبات التي تثقل الكاهل، وتسبب النفور وقد تؤدي إلى انهيار هذه الرابطة السامية بطلاق بسبب تلك الأغلال وهذا غاية ما يفرح الشيطان، عن جابر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ إبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ**»(١).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٨١٣).

القاعدة الثانية: ﴿ ألا إنّ لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً ﴾

قال النبي ﷺ: «**أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا**»(١).

حث الإســـلام على الإبقاء على الحياة الزوجية، بالقيام بواجب كل منهما على الآخر، فللزوجة حقوق على زوجها، وللزوج حقوق على زوجته رتبها الشارع الحكيم، وبين لنا ديننا أيضاً أن هناك حقوقاً مشتركة بين الزوجين، وبمراعاة هذه الحقوق من طرف الزوجين تسير الحياة الزوجية سيراً صحيحاً، ولن تصلح الحياة الزوجية ولن تستقر إلا بذلك.

ونستعرض سريعاً حقوق الزوج والزوجة دون تفصيل كبير، وهذه الحقوق مستمدة من الكتاب والسنة، وليس من القانون البشري، هذه الحقوق ربانية من لدن حكيم عليم.

أولاً: حقوق الزوج:

عن مُعاذ بن جبلٍ ﷺ قال: قَالَ رســـولُ الله ﷺ: «لَو تَعلَم الْمرأَةُ حقَّ الزَّوجِ ما قَعدَت ما حضر غَداؤُه وعشاؤُه حتَّى يفرُغَ منه»(٢).

لتعلم المرأة أن حق زوجها عليها حق عظيم، قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية ﷺ: "ولَيس علَى الْمرأَة بعد حق اللَّه ورسوله أَوجب من حق الزَّوجِ"(٣).

فمن هذه الحقوق:

١. **طاعته:** طاعة المرأة لزوجها واجبةٌ، وتكونُ طاعته في المعْروف فيما هو من حقّه، وفي حُدود اسـتطاعتها، بدون مشـقّة عليها أو ضـرر، قال تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [النساء: ٣٤].

وعن أَبِي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «**إِذَا صلَّت الْمرأَةُ خُمسها، وصامت شهرها،**

---

(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (١١٦٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٩٣٠).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/١٦٠) برقم (٣٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٢٥٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٢/٢٧٥).

وحصَّنت فرجها، وأطاعت بعلها دخلت من أي أبواب الجنَّة شاءت»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسـول الله ﷺ قال: «**لا يحلُّ للمرأة أن تصـوم وزوجها شـاهدٌ إلَّا بإذنه، ولا تأذَنَ في بيته إلَّا بإذنه**»[٢].

وجه الدَّلالة: في الحديث دلالةٌ على أنَّ حقَّ الزَّوجِ آكَدُ على المرأة من التطوُّعِ بالخير؛ لأنَّ حقَّه واجب، والقيام بالواجب مقدَّمٌ على القيام بالتطوُّع[٣].

كثير من نسـاء اليوم تجهل هذه الحقوق، فربما تعانده وتعصـيه ولا تتجرأ أن تفعل مع والدها مثل ما تفعله مع زوجها، مع أنه حقه عليها أعظم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسـول الله ﷺ فقال: يا رسـول الله، من أحقُّ النَّاس بحسـن صـحابتي؟ قال: «أُمُّك». قال: ثُمَّ من؟ قال: «ثمَّ أُمُّك». قال: ثمَّ من؟ قال: «ثمَّ أُمُّك». قال: ثمَّ من؟ قال: «ثمَّ أبوك»[٤].

٢. **تمكين الزوج من الاستمتاع:** يجب على المرأة تمكين الزَّوج من الاستمتاع بها، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا دعا الرَّجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تُصبح»[٥].

وجه الدَّلالة: دلّ سـخطُ الله سـبحانه وتعالى على حُرمة ذلك، ودلّ لَعن الملائكة لها على وجوب إجابتها إلى فراشـه إذا دعاها إليه؛ إذ لا يلعنون إلَّا عن أمر الله، ولا يكون إلَّا عقوبةً، ولا عقوبة إلَّا على ترك واجب[٦].

٣. **اسـتئذان الزوجة من الزوج:** ومن ذلك عدم خروج الزوجة من بيتها إلا بإذنه، عن ابن

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٤١٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٦٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٥١٩٥)، ومسلم في صحيحه برقم (١٠٢٦) واللفظ له.

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (٩/٢٩٦).

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٢٣٧) واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم (١٤٣٦).

(٦) انظر: سبل السلام للصنعاني (٣/١٤٣).

عمر ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا استأذَنكم نساؤُكم باللّيل إلى المسجد، فأْذَنوا لهنَّ»[(١)].

ومن ذلك أيضاً: ألا تأذَنَ المرأةُ لأحد في الدخول لبيت زوجها إلا بإذنه، وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا يحلُّ للمرأة أن تصوم وزوجها شاهدٌ إلّا بإذنه، ولا تأذَنَ في بيته إلّا بإذنه»[(٢)]، ولأن ذلك يوجب سوء الظن، ويبعث على الغيرة التي هي سبب القطيعة.

ومن ذلك: ألا تصوم إلا بإذنه، فلا يجوز للمرأة أن تصوم نفلًا وزوجها حاضرٌ إلّا بإذنه، وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لا يحلُّ للمرأة أن تصوم وزوجها شاهدٌ إلّا بإذنه**»[(٣)].

ثانياً: حقوق الزوجة:

١. **النفقة على الزوجة:** أجمع علماء الإسلام على وجوب نفقة الزوجة على زوجها، والمقصود بالنفقة توفير ما تحتاج إليه الزوجة من طعام، ومسكن، وخدمة، فتجب لها هذه الأشياء وإن كانت غنية، لقوله تعالى: ﴿**وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [البقرة:٢٣٣]، وقال عز من قائل: ﴿**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ**﴾ [الطلاق:٧]، وقال رسول الله ﷺ في خطبة حجة الوداع: «**فاتَّقوا اللهَ في النّساء، فإنَّكُم أخذْتُموهنَّ بأمان الله، واستحلَلْتم فُروجهنَّ بكَلمة الله، ولكُم عليهنَّ أنْ لا يوطئن فُرشكُم أحداً تكرهونه، فإنْ فعلْن ذلك فاضربوهنَّ ضرباً غيرَ مبرِّحٍ، ولهنَّ عليكُم رزقُهنَّ وكسوتُهُنَّ بالْمعروف**»[(٤)].

(**بالْمعروف**)، بالمعقول، وليس بالمبالغة في الكماليات والأمور الثانوية والمبالغات التي تطالب بها بعض النساء اليوم.

٢. **المهر**: المهر هو المال الذي تستحقه الزوجة على زوجها بالعقد عليها أو بالدخول بها، وهو حق واجب للمرأة على الرجل عطية من الله تعالى أوجبها على الرجل بقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٨٦٥)، ومسلم في صحيحه برقم (٤٤٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٥١٩٥)، ومسلم في صحيحه برقم (١٠٢٦) واللفظ له.

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم (٥١٩٥)، ومسلم في صحيحه برقم (١٠٢٦) واللفظ له.

(٤) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٢١٨).

النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ [النساء:٤]؛ إظهاراً لأهمية هذا العقد ومكانته، وإعزازاً للمرأة وإكراماً لها.

٣. **العدل بين الزوجات:** من حق الزوجة على زوجها العدل بالتسوية بينها وبين غيرها من زوجاته، إن كان له زوجات، في المبيت والنفقة وغير ذلك من المعاملات، وذلك ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ [النساء:٣]، وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «من كَانَت عنده امرأتان فلم يَعْدِلْ بينهما؛ جاء يومَ القيامة وشقُّه ساقطٌ»(١).

لا يجوز للمرأة أن تطلَب الطلاق إذا تزوج زوجهَا بأخرى، حذر النبي ﷺ الزوجة أن تطلب الطلاق من غير سبب، عن ثوبان ﷺ عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سأَلَت زوجها طَلَاقَهَا مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رائحةُ الْجَنَّة»(٢)، وفي رواية: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سأَلَت زَوجها طَلَاقًا فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ، فَحرامٌ عليها رائحةُ الْجَنَّةَ»(٣)، أيَ: إنَّ أيَّ امرأة طلَبت الطَّلَاقَ من زوجها دونَ وقوعِ ضررٍ أو أذىً عليها من زوجها، ودونَ سببٍ واضحٍ ومقبولٍ، فلْتَحذَرْ؛ لأَّها سيكونُ جزاؤها أَنَّها تُمنَع من رائحة الجنَّة.

٤. **حسن العشرة:** وسيأتي معنا بيان ذلك بالتفصيل في القاعدة الرابعة إن شاء الله.

(١) رواه أبو داود في سننه برقم (٢١٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٩٤٩).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٢٨٦٨).

(٣) رواه أبو داود في سننه برقم (٢٢٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (٢٠١٨).

القاعدة الثالثة: ﴿لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً﴾

ومن القواعد النبوية في الحياة الزوجية، ما رواه أبو هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ**»(١).

والفرك هو البغض، والذي قد يكون سببه بعض التصرفات التي ربما تقع فيها النساء، فإذا رأى الرجل من زوجته خُلُقًا يكرهه، فلينتقل إلى خُلُق آخر، وليتفكر في حياتها معه، نعم قد تكون أخطأت مرةً أو مرتين، ولكنَّها أَحسنت إليه مرارا وتكرارا، ومن العجيب من رجلٍ عاش مع زوجته عشرين أو ثلاثين عاما، ويَجِدُ منها في كلِّ يوم إحسانًا، ثمَّ تقع في خطأ ما أو تتصرفُ تصرفًا يكرهه، فيبدأ الشقاق والخلاف، وقد ينتهي بالفراق، أو يعيشون حياةَ نكد وشقاء، من جراء زلة أو زلتين وهي نقطة في بحر من حسناتها وتضحياتها، وصبرها عليه.

إلى من يبحثون عن الكمال، قاعدة مهمة قد يغفل عنها الكثير، ما من أحد إلا وبه جانب حسن وجانب غير حسن، إيجابيات وسلبيات، الكمال لله وحده، ومن ادعى الكمال كذب، ما من بشر رجل كان أم امرأة وليس عندهم جانب من جوانب النقص، لو وجدت المرأة في زوجها ما لا ترضاه أو شيء تكرهه منه فلا تنسى ما ترضاه وما تحبه فيه، أو العكس، فمن الإنصاف أن يوازن الزوجين بين سيئات وحسنات الطرف الآخر، «**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ**»، إذا رأت المرأة من زوجها خُلقًا لا يناسبها أو تكرهه، فلتتعاملِ مع الأخلاق الأخرى، ولتعلم أنه كما قال ﷺ: «**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً**»، فكذلك: لا تفركُ زوجةٌ زوجها، بل هي بذلك أولى، فعليها أن تتعامل مع أخلاقه الطيبة الأخرى وصفاته العالية، ولتنظر إليه نظرة إيجابية، فإذا وجدت منه خلقًا صعبا، كشدَّة أو به شيء من الشُحِّ أو استعجاله في بعض الأحيان أو غيرها من الأخلاق الصعبة، فيقال لها خذي القلم، وأحصي الأخلاق الطيبة العظيمة لهذا الزوج ولا تتركي خلقاً إيجابياً حسنا إلا وتدوينه، وعندئذ ستتضاءلُ الأخلاقُ السيئة، وستصغُر في عينها.

وكذلك الزوج إذا رأى من زوجته خُلق أو اثنان أو ثلاثة مما لا يرضاه أو يكرهه؛ فإنه سيجد

---
(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٤٦٩).

فيها أخلاقًا كثيرة تَســدّ هذا الخلل؛ فإلى الذين يبحثون عن الكمال اصــرفوا النظر عن الزواج، لأن هذا من المســـتحيلات، العلاقة بين الزوجين يجب أن تكون مبنيةً على المودة والتفاهم والتنازل عن بعض الأشياءِ لتدوم الرحمة والاستقرار.

فلِيكنّ هذَا هو منهج التعامل بينَ الزوجين، وبهِذا تتحققُ الحياةُ الهانئةُ الســعيدةُ، فليَجعل هذا الحديثَ منهج يســير عليه الزوجان فيما بينهم، وليس فقطْ في العلاقة الزوجية، وإنما في عموم الحياة، والأقربون أولى بالمعروف.



القاعدة الرابعة: ﴿ خيركم خيركم لأهله ﴾ حسن العشرة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبِي ﷺ قَالَ: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**»[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خَيْرُكُم خَيْرُكُم لأَهْلِه، وَأَنَا خَيْرُكُم لأَهْلِي**»[(٢)].

حسن العشرة: المراد به إحسان الصحبة، وكف الأذى، وعدم القيام الحقوق مع القدرة، وإظهار البشر والطلاقة والانبساط، وهي واجبة على الزوج، والأصل فيها قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: "**أَيْ: طَيِّبوا أَقْوالَكُم لَهُنَّ، وحَسِّنُوا أَفْعالَكُم وهيئَاتكُم بحسب قُدْرتكُم، كَمَا تُحبُّ ذَلِكَ منْهَا، فَافْعَلْ أَنْتَ بهَا مثْلَه**"[(٣)].

ويقول أبو بكر الجصاص رحمه الله: "**وَمن الْمَعْرُوف أَنْ يُوفيهَا حَقَّهَا من الْمَهْر وَالنَّفَقَة وَالْقَسْم وَتَرْك أَذَاهَا بالْكَلَام الْغَليظ وَالْإعْرَاض عَنْهَا وَالْمَيل إلَى غَيْرهَا وَتَرْك الْعُبُوس وَالْقُطُوب في وَجْههَا بغير ذنب**"[(٤)].

ما قيمة المال عند الزوج، وما قيمة المنصب، وما قيمة الجاه، وما قيمة الشهادة التي حصلها الزوج، ما قيمة ما يقدمه الزوج لزوجته من طعام وشراب وثياب، ووجاهة وجاه ومنصب، إن كان سيء الخلق، بذيء اللسان، كثير السب واللعن؟! ما قيمة هذا بالنسبة للزوجة؟! لا شيء.

ما قيمة أن يقدم الزوج لزوجته كل ما تشتهيه من أمور الدنيا وهو في الوقت ذاته مملوء بالكبر والغرور، لا يعامل زوجته إلا بقسوة وغلظة وفظاظة فلا تسمع منه إلا الكلمة السيئة البذيئة؟!

فمن أعظم المفاتيح التي يفتح بها الزوج قلب زوجته: أن يكون حسن الخلق، ولا قيمة لكل ما

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي في جامعه برقم (٣٨٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٣١٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٢٤٢).

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٣/٤٧).

يقدمه إن كان سيء الخلق، النَّبِي ﷺ قَالَ: «استوصوا بالنّساء خيراً».

وكذلك الزوجة، ما قيمة ما تقدمه من خدمة لزوجها في بيته من صنع طعام وشراب، أو تنظيف، أو غسيل، إن كانت سيئة الخُلق مع زوجها؟!، كثيرة النكد والعتاب، كثير التذمر والنقد وقليلة الاحترام له!، فلا يراها إلا بثياب رثة، ورائحة المطبخ تفوح من ثيابها، لا يراها متزينة أو متعطرة إلا عند خروجها من بيتها!، مهملة لحقوق زوجها!، ما قيمة هذه الزوجة عند زوجها؟.

يجب على الزوج إكرام زوجته، وحسن معاشرتها، ومعاملتها بالمعروف، وتقديم ما يمكنه تقديمه إليها، مما يؤلف قلبها، فضلاً عن تحمل ما يصدر منها أو الصبر عليه، يقول الله سبحانه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩]. وإكرام المرأة دليل الشخصية الكريمة.

ومن مظاهر اكتمال الخُلق ونمو الإيمان أن يكون المرء رفيقاً مع أهله، عَن أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: **«أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِين إِيمَانًا أَحْسَنهم خُلُقًا، وخيركم خيركم لنسائهم»**[(١)].

ومن إكرامها التلطف، واللين معها، والرفق بها، واحتمال الأذى منها، وألا يعبس في وجهها بغير ذنب، وهذا أهدأ للنفس وأهنأ للعيش.

قال ابن القيم رحمه الله: **"وكَانَتْ سيرتُه مع أَزْوَاجه حُسن الْمعاشَرة وحُسن الْخُلُق، وكَانَ يسرب إِلَى عائشة بنات الْأَنْصار يلْعبن معها. وكَان إِذَا هويت شيئًا لا محْذُور فيه تابعها علَيْه، وكَانتْ إِذَا شربتْ من الْإِناء أَخذَهُ فوضع فمه فِي موْضع فمها وشرب، وكَانَ إِذَا تعرَّقَتْ عرْقًا – وهو الْعظْم الَّذي علَيْه لَحْم – أَخذَهُ فوضع فمه موضع فمها، وكَان يتَّكِئ فِي حجرها ويقْرأُ الْقُرآن ورأْسُهُ فِي حجرها وربَّما كَانَتْ حائضًا، وكَانَ يأْمرها وهي حائضٌ فتتَّزر ثُمَّ يباشرها، وكَان يقبلُها وهو صائمٌ، وكَانَ من لُطْفه وحُسن خُلُقه مع أَهْله أَنَّهُ يمكّنُها من اللَّعب ويريها الْحبشةَ وهم يلْعبونَ فِي مسجده وهي متَّكئةٌ علَى منكبيه تنْظُر، وسابقها فِي السَّفر علَى الْأَقْدام مرَّتين، وتدافعا فِي خُروجهما من الْمنْزل مرَّةً... وكَان يقُولُ: «خَيْرُكُم خيركُم لأَهْله، وأَنَا خيركم**

---

(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (١١٦٢).

لأَهْلِي»"(١).

قال ابن عثيمين رحمه الله: **"أهلك أحق بإحسان الخلق؛ أحسن الخلق معهم؛ لأنهم هم الذين معك ليلاً ونهارا، سراً وعلانية، إن أصابك شيء أصيبوا معك، وإن سررت سروا معك، وإن حزنت حزنوا معك، فلتكن معاملتك معهم خيراً من معاملتك مع الأجانب، فخير الناس خيرهم لأهله"(٢).**

ومن حسن العشرة: التعاون بين الزوج والزوجة في شأن البيت وأموره.

عَنِ الأَسْوَدِ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: **«كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ – تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ – فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ»(٣).**

وعن عروة قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: **"يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرَّجُلُ فِي بَيْتِهِ"(٤).**

وعن عمرة: قِيلَ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها: مَاذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: **"كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ؛ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ"(٥).**

هذا فيما يتعلق بخدمته ﷺ لأهله، أما إعطاؤه فرصة للزوجة لتخدمه، حتى ولو كان هذا الأمر مما يباشره الرجل عادة بنفسه، فيدل له ما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: **"كُنْتُ أُطَيِّبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لإِحْرَامِهِ قَبْلَ أَنْ يُحْرِمَ، وَلِحِلِّهِ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ"(٦).**

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: **"كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصْغِي إِلَيَّ رَأْسَهُ وَهُوَ مُجَاوِرٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَأُرَجِّلُهُ وَأَنَا حَائِضٌ"(٧)**، لما كان معتكفاً صلوات الله وسلامه عليه كان يخرج رأسه من المسجد إلى غرفتها

---

(١) زاد المعاد (١/١٤٦).

(٢) شرح رياض الصالحين (٣/١٣٤).

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٧٦).

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (٤١٩)، وصححه الألباني رحمه الله.

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (٤٢٠)، وصححه الألباني رحمه الله.

(٦) متفق عليه.

(٧) رواه البخاري في صحيحه برقم (٢٠٢٨).

من أجل أن ترَجل شعره، -أي تمشطه-، إذا كانت تفعل هذا معه وهو في المسجد، فكيف وهو عندها في البيت؟.

إن هذا التبادل في الخدمة بين الزوج وزوجه إنه لمظهر من مظاهر إعلان المحبة، وإعلان التعاون الذي لا يزيد هذه الحياة إلا قوةً ووثوقاً، تأملوا في سيرة محمد ﷺ، وربكم يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]، اللهم ارزقنا اتباع السنة ظاهرا وباطناً.

الواجب على الزوجان إنا كانا يحبان أن يحييا حياةً سعيدة، ومطمئنة، وهادئة، أن يعاشر زوجته بالمعروف، وكذلك بالنسبة للزوجة مع الزوج، ينبغي أن يكون الزواج قائم على المعاملة بالعطف واللُّطف، والرِّفق واللِّين، والشَّفَقة والمسامَحة، والرحمة والإحسان، وحُسن المعاشرة.

هَذه هيَ نظرةَ الإسلام اَلعميقة للعلاقة الزَوجية، وهذَه العلاقة يجب أنَ تقوم على المعاشرة بالمعروف، وعلى الصبر على ما قد يبدر من الطرفين من تقصير، فإن كانت العلاقة غير قابلة للاستمرار فيأتي هنا الأمر بالتسريح بالمعروف -أيضاً- الذي يحفظ حق الكرامة لكلا الطرفين.

الخاتمة

لقد ترك الرسول ﷺ هدياً نبوياً قويماً يصلح شأن البيت المسلم، كما يصلح شأن العلاقة الزوجية، وإنَّ الأحاديث والسيرة النبوية هي منهج متكامل يصلح لكلا الزوجين كل مكان وزمان، بل والاكتفاء به دون عن غيره من الاجتهادات التي يؤلفها العلماء والخبراء والمستشارين في مشارق الأرض ومغاربها لمحاولة تقديم علاج للمشاكل الزوجية.

إنَّ رسول الله ﷺ قد وضع منذ ما يزيد على (١٤) قرناً قواعدَ مهمة جداً للحياة الزوجية، بدأً من اختيار الزوجة التي هي اللبنة الحقيقية التي يبنى عليها البيت المسلم، وأيضاً قواعد مهمة في كيفية تعامل كل من الزوجين مع بعضهما البعض، حيث لا ظلم ولا إساءة ولا جرح كرامة، بل إحسان وحب ومودة.

وكذلك أن يتغاضى كلاً منهما عن بعض الأخلاق الصعبة التي قد تكون في أحدهما، فالكمال لله وحده، فلا ينبغي أن ينظر كل منهما للآخر نظرة كمال.

بالإضافة لحفظ كل واحد منهما حقوق الآخر التي عليه، والعناية بها، وألا يقصر في تقديمها، حتى تستمر الحياة الزوجية دون مشاكل أو عقبات. ونسأل الله أن يصلح الأزواج والزوجات، وأن يعين الجميع على القيام بالحقوق والواجبات.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





فهرس المحتويات